داخلية كبيرة . خذ مثلا مجتمع الهنود في شمالي اميركا ، فاننا نجد فيه نظامين مختلفين ، واحدا للسلم وآخر للحرب ، نفس الشيء يطالعنا في العالم القديم وخصوصا في روما ، كما انه يبرز واضحا في الديمقراطيات الغربية الحديثة التي افسحت المجال في دساتيرها لهذا التركيز الذي يجب تحقيقه اثناء الازمات او الحرب . ثم اننا نرى نفس الشيء في بعض التنظيمات المهنية في القرن التاسع عشر ، التي كانت تمارس تنظيما معينا اثناء الاوقات العادية، وتنظيما آخر يؤكد درجة من التركيز يوحد بينها اثناء الازمات والصراع.
التجارب التاريخية تدل بوضوح ان المجتمعات المجزأة تجد وحدتها وتحققها في دولة واحدة نتيجة الصراع مع عدو خارجي . ان سويسرا توفر لنا مثلا واضحا عن اثر النكبات الوحدوي . فحتى القرن التاسع عشر كان ما يجمع هذه البلاد يقتصر على تحالف عسكري فقط بين كانتونات مختلفة ومنقسمة ، دينيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ولغويا ، تتعاون فيما بينها فقط بسبب خطر الغزو الخارجي . فابتداء من عام ١٢٩١ ، كان سكان سويسرا يتساندون من وقت الى آخر بسبب ضرورات دفاعية ، ولكنهم لم ينشئوا أية مؤسسة سياسية مشتركة الا عام ١٦٤٨ . ففي ذلك التاريخ اقاموا مجلسا تشريعيا مشتركا ، ولكن هذا المجلس كان في الواقع مجرد مكان يلتقي فيه سفراء مستقلون يمثل كل منهم مصالح كانتونه القومية الخاصة . الوحدة السياسية جاءت في ذيل الغزو النابليوني ، الذي كان من نتائجه تحالف البورجوازية مع الحرفيين والعمال في ثورتين ، عام ١٨٣٠ وعام ١٨٤٨ ، ضد الارستقراطية الحاكمة ادتا في النهاية الى تثبيت الوحدة والديمقراطية الليبرالية. ولكن شخصية سويسرا القومية كانت قد تطورت وتبلورت سابقا ، بين القرن الثالث عشر والقرن السادس عشر اثناء تلك الصراعات الحاسمة التي خاضتها في سبيل استقلالها .
فيتنام حققت وحدتها من لانج سون في الشمال الى كاموه في الجنوب في مراحل قصيرة من تاريخها الطويل ، في الفترة التي كانت تقاوم فيها الصين ، اثناء نضالها ضد الاستعمار الفرنسي ، وحاليا في صراعها ضد الامبريالية الاميركية .
من الحقائق المعروفة أن حرب المائة عام هي التي عجنت وصنعت وحدة فرنسا ، وان هذه الوحدة وطابع فرنسا الخاص تثبتا وقويا أثناء صراعات الثورة الفرنسية .
وحدة هولندا ووعيها القومي تبلورا واستقرا أيضا أثناء حرب الاستقلال ضد اسبانيا .
والحرب ضد العرب هي التي وحدت بين مناطق اسبانيا المختلفة وادت الى انشاء دولة واحدة .
الثورة الهوسية وصراعاتها في القرن الخامس عشر كانت عاملا اساسيا في ولادة الشخصية التشيكية والوعي القومي التشيكي .
العصبة الاخية اليونانية برزت نتيجة الحرب ضد مقدونيا ، والحلف اليوناني الاتحادي المسمى بـ (Delos League) تحقق بقيادة أثينا كرد على الغزو الفارسي . وكان من نتائجه رد هذا الغزو والانتصار عليه .
الاستعمار مزق وحدة بولندا ، وطيلة قرن ونصف بعثر هذه الوحدة ، ولكن بولندا لم تمت ، وكانت وحدتها النفسية تترسخ بسبب تلك النكبة نفسها .
غزو الغرب لروسيا وسلخ أراضيها عنها ابتداء من القرن الثالث عشر قاد كرد أول الى ظهور نظام سياسي قومي جديد فرض على روسيا الوحدة السياسية التي تحتاجها ان هي أرادت أن تحافظ على بقائها . لذلك لم يكن غريبا ، كما يكتب توينبي ، أن يولد هذا النظام الاتوقراطي في موسكو ، المدينة التي توجد في الطريق الذي يتبعه كل غاز غربي يريد غزو ما تبقى من روسيا .
تشكيل شعب اميركي من عناصر مختلفة، وشتيت من الجماعات المتناقضة يعود بالدرجة الاولى الى حرب التحرير ضد بريطانيا . جورج واشنطن اكد على هذه الناحية في أوامره الوداعية الى الجيش عام ١٧٨٣ ، عندما أعلن : « من رأى سابقا حشدا منظما يتشكل